

بوتين يحير الأميركيين: هل انتصر وتركنا في المستنقع؟

صباح ايوب

لا أحد يعرف دوافعه حتى الآن ولم يستطع أحد التكهّن بخطواته اللاحقة... لكن «بوتين على حق». لأول مرة منذ بدء الأزمة السورية يعترف معظم الإعلام الأميركي بأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مُصيب في ما يقول وما يفعل. لأول مرة منذ بدء الحملة العسكرية الروسية في سوريا، لا يكرّر صحافيّو النظام الأميركي أن بوتين «يجرّ بلاده اقتصادياً وأمنياً إلى الهلاك باتخاذ قراراً مصيرياً يتعلق بالشأن السوري».

بوتين «على حق» حسب معظم الكتاب الأميركيين، أولاً لناعية أنه «حقق أهدافه المرجوة»، وهو بالفعل حسب هؤلاء «مكّن النظام السوري من استرجاع قسم كبير من المواقع الاستراتيجية والأراضي التي كان خسرها، وقدم للجيش السوري ولحفائمه دعماً عسكرياً كانوا بحاجة ماسة إليه، ووضع النظام في موقع القوة على أي طاولة مفاوضات حول مستقبل البلاد». ثانياً، هو «على حق» بشأن قراره سحب معظم القوات الروسية من الأراضي السورية. لماذا؟ يشرح المحللون نتائج قرار بوتين «الصائب» على الصعيد الروسي والسوري والدولي، منها:

1. أن الرئيس بوتين، وبطريقته المفاجئة والأحادية في اتخاذ قراراته (قرار التدخل في 30 أيلول 2015 وقرار سحب القوات أول من أمس) عزّز فكرة استقلالية القرار الروسي في السياسة الخارجية، لا سيّما حول سوريا، وثبّت دوراً قيادياً لروسيا في منطقة الشرق الأوسط عموماً.

2. أنه بدعمه العسكري المباشر للنظام السوري، والذي مكّن الأخير من تحقيق مكاسب ميدانية وسياسية كبيرة، يقول للغرب إنهم ليسوا وحدهم أصحاب القرار في الشأن السوري.

3. أنه احتفظ بإمكانية تنفيذ هجمات عسكرية في سوريا متى يشاء، بالإبقاء على مطار حميميم وقاعدة طرطوس.

4. أنه جنباً الاقتصاد الروسي انهياراً آخر كان من شأنه زيادة الخناق على الخزينة وعلى معيشة المواطنين الروس.

5. أنه سوق للأسلحة الجديدة التي لغت انتباه العالم بتقنياتها الحديثة، مثل صاروخ «كالبر» المُنح والمقاتلة «إس يو 34» ودبابات «ت 90»... والتي بات لها زبائن أكثر منذ الآن، حسب متحدثين روس.

6. أنه، وبذلك، توقيت القرار عشية بدء مفاوضات جنيف، بات بإمكانه تحقيق مكاسب كثيرة بأثمان أقل.

7. إننا، الأكيد لدى المحللين الأميركيين أن بوتين لن يتخلّى عن سوريا ولن ينسحب من المنطقة، بل إن روسيا ستحتفظ بدور «شرطي المنطقة» الذي اكتسبته مجدداً (إلى جانب الشرطي الأميركي). لكنّ بعض هؤلاء أشاروا إلى أن الرئيس الروسي كان منذ البداية قد «قرر دعم سوريا كبلد استراتيجي مهم للمصالح الروسية، وليس دعم شخص رئيسها». من هنا، انطلق بعض الكتاب الصحفيين للقول إن الرسالة التي وجّهها بوتين للرئيس السوري من خلال القرار الأخير تقول للأسد صراحة إنه «حان الوقت للتوقف عن المقاومة وإفساح المجال لعملية إحلال السلام».

8. قرار سحب معظم القوات الروسية هو نابع من «حاجة عملية» بغية التقدم في المفاوضات حول سوريا، يرى البعض، فيما يصنّف آخرون على التنكير بـ«مهارة بوتين ودهائه»، إذ هو «ما زال يحتفظ حتى الآن بأوراق اللعب جميعها بين يديه»، «نعم لقد أوقع بوتين (بالرئيس الأميركي) باراك أوباما مجدداً وفاجأه مرة أخرى بقرار استراتيجي مهم لا علم له به مسبقاً»، قال بعض المحللين.

9. مهلاً، لكن الحرب على «داعش» وباقي المجموعات الإرهابية لم تنته بعد، وقرار بوتين لا يحدّد حجم الانسحاب ولا مهلته الزمنية، والتفاهم مع إيران على سوريا ما زال قائماً، لاحظ البعض وسألوا من جديد «لماذا اتخذ بوتين قراره الآن إذا؟ ما الذي سيحصل بعد ذلك؟».

وعلى رأسها «الوصول إلى دستور جديد، وعملية سياسية حقيقية تُفضي إلى انتخابات حرة ونزيهة». كذلك قدّمت للراغبين في «ركوب القططار» وعوداً بإجراءات كسب ثقة، على رأسها العمل على إطلاق مُعتقلين، والحفاظ على «خط اتصال ساخن مع قاعدة حميميم للبحث في أي طلب». كيف سيتعامل الروس مع رافضي العروض والرسائل؟ «لقد جربوا نيراننا»، جواب سمعه أحد المعارضين الذين اجتمعوا بمندوب روسي قبل أسبوع. الشقّ التهريبي من الرسالة اشتمل على أنّ «الهدنة لا يمكن أن تستمر إلى الأبد ما لم تتوّج باتفاق شامل، وكل من يعرقل هذا الاتفاق سيجد نفسه مجدداً في مرمى النار»، وفقاً للمصدر ذاته. هل ستكون قائمة «التنظيمات الإرهابية» قد نضجت حينها على وقع التقييمات الروسية الأميركية المشتركة للهدنة والملتزمين بها؟ يبدو هذا الاحتمال مُرجحاً حتى الآن.

«جنيف»... تفاؤله حذر

أصداء الطائرات الروسية التي غادرت قواعدها في سوريا، انعكست في جنيف وعدد من العواصم العالمية «تفاؤلاً» مشوباً بالحذر. وزير الخارجية الأميركي جون كيري سارع إلى الإعلان عن زيارة يُزعم القيام بها إلى موسكو الأسبوع المقبل «لمناقشة الأزمة السورية مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين». كيري الذي أكد «ضرورة الاستفادة من اللحظة الراهنة بدلاً من صرفها»، رأى أن سحب القوات الروسية «سأهم في التوصل إلى مرحلة مهمة جداً في عملية تسوية الأزمة». بدوره، أكد المبعوث الأممي إلى سوريا ستيفان دي ميستورا أنّ «قرار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين سيساعد العملية السلمية ويساهم في الانتقال السياسي». فرنسا وبريطانيا رحّبتاً أيضاً (وكلّ على جدة) بالخطوة الروسية، أملتين أن تسهم في دفع العملية السياسية، فيما أكد المتحدث باسم «الهيئة العليا للمفاوضات» سالم المسلط أنّ «المعارضة تجد في الانسحاب الجزئي الروسي من البلاد خطوة جيدة ترتبط بمدى تطبيقها ميدانياً». كذلك، أبدى رئيس لجنة التحقيق الدولية الخاصة في سوريا باولو بينيرو تفاؤله أمس «للمرة الأولى، هناك أمل بالتوصل إلى نهاية النزاع»، قال بينيرو من جنيف.



في مدينة تلبسة في ريف حمص الشمالي أول من أمس (أ ف ب)

وعرضت الرسائل على تأكيد أنّ «الروس لم ياتوا للدفاع عن أحد، بل عن مصالحهم التاريخية»، وأنّ «كل من يقبل التعاون لوقف إطلاق النار، والبحث مستقبلاً في تسويات تضمن إرساء السلام والتفرغ لمواجهة المجموعات التكفيرية الإرهابية، سحظى بغطاء روسي مع ضمانات كافية». الاجتماعات المذكورة تطرقت إلى كثير من الملفات «المستقبلية» التي اشتملت عليها أساساً التوافقات الدولية في فيينا،

عليها «الأخبار» بأنّ مندوبين روسيين قد جالوا بكثافة خلال الأسبوعين الأخيرين على عدد من المدن بحثاً عن مزيد من الصلات مع «معارضين محليين» بعيدين عن مساقط الضوء، وممّن تتوافر فيهم مواصفات معينة، على رأسها «الوجاهة» و«القبول المجتمعي». وحملّ المندوبون كل من اجتمعوا به رسائل وعروضاً لنقلها إلى «عناصر أئ فيصيل مسلّح يمكن للمعارضين تمرير الرسائل إليه».

الجيش يبادر في دير الزور: قطع جزء من خطوط إمداد «داعش»

أيهم مرجح

نجح الجيش السوري، والقوات الريفية، في استعادة زمام المبادرة في دير الزور، بعد هجوم ناجح في المدينة. وتقدّمت مجموعات المشاة على طريق حقل التيم النفطي، عقب اشتباكات عنيفة مع مسلحي «داعش»، في محيط الحقل.

وانطلقت المجموعات من نقطة قريبة على طريق دير الزور - الميادين الجديد، باتجاه الحقل، في خطوة هدفت إلى قطع جزء من خطوط إمداد التنظيم القادمة من البادية والريف الشرقي، نارياً، وتأمين إضافي لنقاط الجيش في محيط «اللواء 137».

وأكد مصدر عسكري لـ«الأخبار» أنّ وحدات الجيش، بمساندة سلاح الجو، تمكّنت من التقدم لمسافة 4 كيلومترات باتجاه مركز حقل التيم، الذي طوق، إضافة إلى محطة الغاز والمعهد التقني، بعد اشتباكات عنيفة مع مسلحي التنظيم.

وكشف المصدر أنّ «الجيش سيواصل

في المدينة. ولفت مصدر ميداني لـ«الأخبار» إلى أنّ «داعش سيحاول تكثيف هجماته على مواقع الجيش في المدينة وريفها، في محاولة لقطع الطريق على وحدات الجيش المتقدمة في تدمر، والتي يمكن أن تكون وجهتها دير الزور». وأضاف المصدر أنّ «وحدات الجيش تمتلك القدرة الكافية للدفاع عن مواقعها في المدينة، وربما الانتقال لتوسيع العمليات الهجومية».

في موازاة ذلك، استغل «داعش» العاصفة الغبارية التي تضرب ريف الحسكة الجنوبي، ليشن هجمات معاكسة على مواقع «قوات سوريا الديمقراطية (قسد)» في محيط بلدة مركدة، وباتجاه قرى أبو فأس والعزاوي، من دون أن يتمكن من إحراز أي تقدم.

إلى ذلك، قصفت المدفعية التركية موقعاً لـ«الوحدات» الكردية في محيط مدينة عامودا، كذلك أصيب عنصران من «الوحدات» بانفجار عبوة ناسفة استهدفت دوريتهم في مدينة القحطانية، في ريف الحسكة.

تقدمه في دير الزور، بهدف توسيع طوق الأمان في محيط المدينة، والمطار العسكري، وصولاً إلى فك الحصار عن المدنيين، بالتعاون الوثيق مع الحلفاء الروس». في المقابل، حاول التنظيم الزد على عملية الجيش بشنّ هجمات على مواقعها في محيط المطار والجفرة وحَيّ الصناعة والحويقة، من دون أن يحقق أي تقدّم.

كذلك أدى هجوم التنظيم على نقاط الجيش على تلة العلم، في ريف المدينة، إلى سقوط ما لا يقل عن ثمانية مسلحين، في وقت تتواتر فيه المعلومات عن تعزيزات لـ«داعش» في محيط مطار دير الزور وبلدتي عياش والغيلية، مع إخلاء التنظيم منطقتي الحسينية والجنيحة، على نهر الفرات، من سكانها، في خطوة فسّرت بتحضيرات لشنّ هجمات على مواقع الجيش في المدينة.

وردّ الجيش على إجراءات التنظيم باستقدام تعزيزات إضافية، من مطاري القامشلي وحماة، لتعزيز مواقعهم

«الروس يدركون معنى أنّ يبقى حزب الله في سوريا ويثبت مواقعه هناك». كذلك تناولت القناة العاشرة الحدث الروسي بالتأكيد على أن ما يهم إسرائيل أمران، من جهة أنّ يؤدي القرار الروسي إلى تعزيز قوة إيران وحزب الله في الساحة السورية، وتسليح حزب الله بأسلحة متطورة. وعلى هذه الخلفية يوجد سلبيات وإيجابيات لانسحاب الروسي. السلبيات بالنسبة لإسرائيل أنّ لا يكون هناك عنوان في سوريا، وبالتالي يمكن لحزب الله وغيره أن يفعل ما يريد على الحدود مع الجولان، وهذا الوضع سيؤثر لإسرائيل. أما بالنسبة إلى الإيجابيات المفترضة، فـ«أنّ يؤدي تقليص القوات الروسية إلى تعزيز قوات المعارضة، وبالتالي قد تتضرر إيران وحزب الله وقدرتهما على تنفيذ هجمات ضد إسرائيل ستتقلص».

في المقابل، رأى معلق شؤون الشرق الأوسط في القناة الثانية، إيهود يعري، أنّ خطوة الرئيس الروسي «ليس لها سوى تفسير واحد، أنه

يقول للايرانيين وحزب الله إن سلاح الجو الروسي ليس في خدمتكم، ولم أت من أجل ضمان بقاء الاسد رئيساً لسوريا طوال الوقت، وبالتأكيد لم أت لضمان السيطرة الإيرانية بواسطة حزب الله على سوريا». ورأى أنّ من أفضل النتائج التي ينبغي تقديرها من قبل إسرائيل هي أنّ بوتين «ليس على وشك إرسال سلاح الجو الروسي لهزيمة المسلحين في جنوب سوريا والسماح لحزب الله والإيرانيين بالسيطرة على الجولان، والجنوب بشكل عام».